ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Duality of Life and Death in the Poetry of Al-Tughra'i (515 AH): An Analytical Vision

Nasser Khidr Khalaf

Mariam Mohamed Jassim

College of Education for Human Sciences, Tikrit University

* *Corresponding author: E-mail* : NK231190ped@st.tu.edu.iq

***Keywords*:**
Binary Oppositions
Life and Death
Poetry of Al-Tughra'i
Analytical Vision

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar 2025
Received in revised form 25 Mar 2025
Accepted 2 Mar 2025
Final Proofreading 29 Sept 2025
Available online 29 Sept 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This research focuses on exploring the poetry of Al-Tughra's through the analysis of the opposing dualities that resonate in his texts, revealing his deep awareness of the contradictions of existence and its movements in the universe. The poet reshapes these opposites through the power of language, transforming them into dynamic structures capable of encompassing his visions of the complexities of life and society.

These dualities are not limited to being a rhetorical tool; rather, they interact within a thematic framework that includes the poet's engagement with humanity, place, and time, reflecting his cosmic and existential worldview. From an artistic perspective, the opposites form linguistic images and paradoxes that enhance the aesthetics of poetry, where the aesthetic function integrates with the meaning function to create a state of opposing balance that mirrors the poet's interaction with life and society within a profound philosophical context.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.9.2.2025.1

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

ثنائية الحياة والموت في شعر الطغرائي(ت:515هـ) رؤية تحليلية"

ناصر خضر خلف

مريم محمد جاسم/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

تُعدّ ثنائية الحياة والموت من أبرز الثنائيات الضدية التي تناولها الطغرائي في شعره، إذ تعكس نظرته العميقة إلى الوجود وتقلبات الدهر. يظهر في شعره إدراك واضح لحتمية الموت، في مقابل توق الإنسان

ورغبته في الحياة، مما يضفي على قصائده طابعًا فلسفيًا وتأمليًا يتجاوز الوصف المباشر إلى استبطان المعاني الوجودية.

يصور الطغرائي الحياة كمرحلة قصيرة ومليئة بالصراعات والطموحات، لكنه في الوقت ذاته لا يغفل عن حتمية الفناء، حيث يرى أن الإنسان محكوم بقدر لا يمكن الفرار منه. ومن خلال هذه الرؤية، يبرز تناقضات الوجود البشري، حيث تتجاذب النفس بين التمسك بالحياة والخوف من زوالها، وبين السعي نحو المجد والنجاة من عبثية المصير. كما يوظف الشاعر رموزًا وألفاظًا تعكس هذا التناقض، مثل الإشارة إلى الدهر، والزمان، والحظ، والموت، مما يجعل ثنائية الحياة والموت متغلغلة في نسيج قصائده.

الكلمات المفتاحية: الثنائيات الضدية، الحياة والموت، شعر الطغرائي، الرؤية التحليلية

المقدمة:

تعدّ ثنائية الحياة والموت واحدة من أبرز الثنائيات الضدية التي تناولها الشعر العربي عبر العصور، ولها مكانة خاصة في الشعر العربي الكلاسيكي. في هذا السياق، يبرز الشاعر الطغرائي كأحد الشعراء الذين تناولوا هذه الثنائية بأسلوب فلسفي عميق يعكس رؤيته للوجود الإنساني وتقلبات الزمن. من خلال استعراض هذه الثنائية في شعره، يظهر لنا الطغرائي مدى إدراكه للبعد الوجودي والتأملي في الحياة والموت، حيث يبرز الموت كحتمية لا مفر منها، بينما تبقى الحياة في نظره مرحلة قصيرة، مليئة بالصراعات والطموحات، إلا أنها لا تخلو من الخوف من الزوال.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الكيفية التي تناول بها الطغرائي ثنائية الحياة والموت في شعره، وكيفية تداخل هذه الثنائية مع باقي المفاهيم الشعرية التي طغت على قصائده. سيتناول البحث تفسير رمزية هذه الثنائية وأثرها في توجيه المعاني الوجودية والتأملات الفلسفية التي تميزت بها أشعار الطغرائي، ساعيًا لاستخلاص الدلالات العميقة لهذه الرؤية المزدوجة التي تتأرجح بين الأمل والخوف، بين الفناء والخلود, وخرج البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث , ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا البحث مستلٌّ من رسالة ماجستير .

مدخل

تعد ثُنائيَّة (الحياة / الموت) من القضايا التي أحدثت إرباكاً وجودياً في ماهية الإنسان منذُ بزوغ فجر حياته الأولى، ولعلّ كلَّ ما يحيط بالإنسان من مظاهر الحياة وتقلباتها وحوادثها المتفرقة يرمز الى الموت ويؤدي اليه، فالموت أعظم سرٍّ يواجهُ الإنسان لأنه في الغالب لديه الرّهبة والخوف من المجهول، والدخيل غير المتوقع، وبالتّالي فهو يُعد من أشد أفعال الدهر قسوة وأكثرها إيلاماً وتأثيراً، لا سيما وهو يعني النهاية المؤكّدة التي لا فرار منها، وبالتّالي هروب الإنسان وفراره من الموت يعني بحثه عن الحياة التي هي الأُخرى ناقضة ومضادة للموت، إذ تُشكِّلُ جدلية الحياة والموت علاقة تلازميَّة الى أبعد حدٍّ ما، فإذما تُذكر الحياة يُذكر معها الموت ف((بالضد يعرف الضد، لما كانت هناك حياة))[1]

وهذه قاعدة لابُدّ وأن يخضع لها الجميع على تنوُّع أصنافهم وأجناسهم، ومع أهمية الموت في فكر الإنسان فإن هذا الإهتمام نابعٌ من أمرين، أحدهما أنّ الموت أمرٌ حقيقي ومطلق لا مفرَّ منه لأيّ سببٍ كان، وثانيهُما يكمُن في الغموض الذي يكتنفهُ بكونه مُنصرفاً الى مجهول لا يُعرف عنه شيء[2] وفي هذا السِّياق فإن العمر والحياة كنزٌ ناقص، وإن غفل بعض البشر عن الموت وظنوا بطول العمر مهربًا، فإنهم لا يفلتون من قبضته ولا يتجاوزون حدوده، فهو سلطان على الجميع، يرقبهم بصمت حتى يستفيقوا على حقيقته المحتومة، ولهذا نرى طرفَه بن العبد يصوّرُ ذلك بقوله:[3]

أَرى العَيشَ كَنزاً ناقِصاً كُلَّ لَيلَةٍ ... وَما تَنقُصِ الأَيّامُ وَالدَهرُ يَنفَدِ
لَعَمرُكَ إِنَّ الموتَ ما أَخطَأَ الفَتى ... لَكَالطِوَلِ المرخى وَثِنياهُ بِاليَدِ
متى ما يشأ يومًا يقدهُ لِحتفِهِ ... ومن يكُ في حبل المنيَّةِ ينقدِ

فالموت إذن النهاية التي يرصدها الإنسان في كل حين، وهي ظاهرة إنسانيَّة لا تنطبق الا على الإنسان وحده ; لأنَّهُ الكائن الوحيد الذي يُدرك ماهية الموت ولا يقلقه شيئ أكثر منه، لذا نرى الفيلسوف(هيجل) يتأثر هو بالموت وينظر اليه بفلسفته الخاصة

قـائِلاً:((إن المـوت مـا لا يسـتطيع الفكـر أن يسـتوعبه فـي ذاتـه، فالتهديـد بالانفصـال يـأتي مـن الـداخل، فـنحن مرغمـون علـى تقبُّلـه والتفكيـر فيـه، ولـيس هنـاك طريـق للالتفـاف حولـه- ويـرى أيضاً أنَّ الحيَّ ليس هو الا ميِّت، أو أنّهُ حيٌّ لم يمت بعد، بمعنى آخر إنّه فان))[4]

وقـد أثـارت ثُنائيَّـة الحيـاة والمـوت الكثيـر مـن الإشـكاليات والتسـاؤلات المسـتمرة ببقـاء الإنسـان، هـذه الثُنائيَّـة التـي بـدأت خلقا حينمـا ذكرهـا الخـالق عـز وجـل فـي كتابـه الحكـيم ﴿**نخ نم نى**﴾ [سورة الملك [الآية:2].

ومـن ثُـمَّ فقـد تطـرق لهـا النبـي محمـد ﷺ وبـين مفهومـا شـاملا عنهـا، إذ كـان يوصـي المسـلمين بالزهـد فـي الحيـاة والابتعـاد عـن دار الغـرور، والتفكيـر والعمـل لـدار الخلـود فقـال فـي اعـراض الـدنيا((مَا لِـي وَلِلـدُّنْيَا، مَـا أَنَـا فِـي الـدُّنْيَا الا كَرَاكِـبٍ اسْـتَظَلَّ تَحْـتَ شَـجَرَةٍ ثُـمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَـا))(5) فالحيـاة فـي حقيقتهـا هـي تمـر الـى المـوت وكـل لحظـه نعيشـها فـي هـذه الحيـاة هـي تقربنا خطوه الى النهاية.

فالإنسان مهما كره ذكر الموت واستمرَّ بالهروب منه فهو حتماً سيصطدم به عاجلاً ام آجلاً، لذا فقد جاء القرآن الكريم مؤكِّداً على ذلك في قوله تعالى: ﴿**صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم**﴾ سوره الجمعة،[الآية: 7].

وفـي هـذا السـياق جـاءت عبـارة فرويـد الشـهيرة إذ يقـول فيهـا((إنّ هـدف الحيـاة هـو الموت)) ويسميه أيضاً((غريزة الموت))[6]

الحياة والموت لغة:

ورد فـي لسـان العـرب معنـى الحيـاة ضـد المـوت فـي قولـه:((الحياة نقـيض المـوت والحـي نقـيض الميـت ٠٠٠ ويجمـع: أحيـاء، ويقـال: أحيـا الله الأرض: آخـرج فيهـا النّبـات، وحيـا الربيـع: مـا تحيـا بـه الأرض مـن الغيـث، لـذلك يقـول الله تعـالى: ﴿**ئر ئز ئم ئن**﴾ سـورة الجاثيـة [الآية:5] و((قال اللّيث في قوله:م في الحديث: التّحيَّات لله، قال: معناه البقاء لله)) [7]

وقيل: الحيُّ من كلِّ شيءٍ(ضدَّ الميت)[8] والحي((الحاء والياء والحرف المعتل أصلان، أحدهما خلاف الموت، والآخر الإستحياء الذي هو ضدّ الوقاحه٠٠٠ ويُسمى المطر حيًّا لأنَّ به حياة الأرض))[9]

وورد أصل الموت في كلام العرب أنَّهُ يُقال:((ماتتُ النارُ موتاً؛ برُدَ رمادُها، فلم يبقَ من الجمرِ شيء ٠٠٠ ومات الماء بهذا المكان؛ أي نشفته الأرض. وقيل الموت في كلام العرب يُطلق على السكون، ويقال ماتت الريح؛ أي: سكنت[10] وورد في كتاب ابن فارس أنّ(الموت): ذهابُ القوّة من الشّيء))[11]

وقد يُطلق الموت ويُراد به إزاءَ الحُزن المكدِّر للحياة[12] كقوله: تعالى: ﴿ٱتجتحتختمتهثمجحجمحج حمخجخمسجسحسخسمصحً سورة ابراهيم،[الآية: ١٧.]

الحياةُ والموتُ اصطلاحاً:

ورد تعريف (الحياة) عند الجُرجاني بقوله:((وهي صفةٌ تُوجِبُ للموصوف بها أن يعلم ويقدر، وهي ما يشغل العبد عن الآخرة))[13] وفي المقابل أيضاً عرّف (الموت) بأنّهُ((صفةٌ وجوديةٌ خُلقت ضدًّا للحياة، وباصطلاح أهل الحق: قمعُ هوى النّفس...))[14]

تعلَّقت ثُنائيَّة (الحياة والموت) بالشعر أكثر من الفنون الأُخرى على الصعيد الأدبي، فالشُّعراء نسجوا قصائد ومقطوعاتٍ تُحاكي أحاسيسهم وخوفهم من الموت ومُلاقاته، لكون الشعر هو ((مرآةُ الشعوب، عليها ينعكس ما يعتلجُ في نفوسها وما يعترك في مُحيطها من مُختلف الجوانب التي تتعلّق بحياة الناس من سياسةٍ واقتصاد واجتماع وعقيدة، وعادات وتقاليد، وفضيلة ورذيلة))[15]

إن من بين الملاحظات في شعر الشُّعراء الذين تطرقوا لثُنائيَّة (الحياة والموت) هي أنّهم مؤمنون ومتيقِّنون بأنّ الموت أمرٌ محتوم وواقعٌ على الجميع، و وهذا لا يُفهم منه أنهم ابتعدوا عن الحياة ولم يحاولوا البقاء فيها، لكنّ محاولاتهم كانت بسيطة وأقل بكثيرٍ ممّن سبقهم، وهذا بطبيعته نابعٌ من إيمانهم المطلق وتطوّر عقولهم بأنّ الموت حقيقة لا يُمكنُ الفرار منها[16]

فالإنسان العادي بطبيعته إن اقتَحمه الموت وملأ جوفَه الحُزن فليس له من أمره شيء، سوى الصّمت والبكاء، بَيدَ أنّ الشَّاعر على ما يحملُهُ من إحساس مُرهفٍ ومشاعرٍ جيَّاشةٍ وتخيُّلٍ بعيدٍ استطاع أن يُترجمُ انفعالاته وأحزانهِ وأحاسيسهِ ويُسطِّرُها بكلماتٍ معبّرة، فصوَّر هذا الصِراعُ القائم بين جدلية الحياة والموت.

بقيت قضيتا (الحياة والموت) تمثِّلان الشُغل الشاغل لعقل الإنسان على العموم، والشَّاعر على وجه الخصوص، لذا حازت هاتان الثُنائيَّتان مساحةً واسعةً من الأدب عموماً، وأدبُنا العربي خصوصاً، وكان للشعر أيضاً نصيب من هاتين الثُنائيَّتين منذُ ولادته وحتى يومنا هذا، فلا يكاد يخلو عصر شعريٌ زماني من ذكر هذين المتضادّين، وفي المقابل لا تكاد تخلو قصيدة من القصائد بشتّى أغراضها من ذكرهما، ولا سيما في غرض الرِّثاء، إذ الرحيل في شكله العام، ورحيل الموتى على هيأةِ الخصوص، هذا فيما يخص الشَّاعر العربي ولا سيما الشَّاعر القديم الذي يصوِّرُ رحيل الحبيبة أو الهجرة بالحياة والموت، وكذا رحيل من يتألم بفقدهم كالأب والأم والزوجة وولاة الأمر، وذلك يتمعن به من يفقه الشعر ويغوص في مكنونه.

وانطلاقًا مما سبق، تتبدّى في رؤية الطغرائي للموت معانٍ عميقة، تكشف عن تأمل فلسفي ينسج بين هيبته المحتومة وسلطانه المطلق، وتجسيداً لتأزُّمٍ نفسيٍّ يعيشهُ الشَّاعر من خلال الأنساق الظاهرة والمضمرة، وبالتّالي هو شعورٌ يعتريه برحيل من تعلّق بهم، وتعايش معهم، ونلمحُ ذلك من خلال قصيدته التي يَرثي بها زوجته قائِلاً[17]: [الوافر]

بنفسيَ أنتِ ظاعنةً تولَّتْ ... وخلَّت في الحشى وجداً مُقيما
بَنَيْتُ بها فما استكملتُ عُرْسِي ... الى أن قيلَ مأتمُها أُقِيما
يعزُّ عليَّ أنْ آنستِ قبراً ... حللتِ به وأوحشتِ الحريما
فيا لَكَ منزلاً قد عادَ قَفْراً ... ويا لكِ جنّةً صارت جحيما

في هذا النص يبثّ الشاعر لوعة الفقد وأسى الرحيل عبر معانيه المرهفة التي ترثي رحيل زوجته، ينكشف للناظر عمق النص، إذ تتشابك دلالات الحياة والموت في نسيجٍ متقن، لا يعلن عن نفسه بوضوح، بل يلوّح بخفاياه في ظلال خافتةٍ وتلميحاتٍ عميقة تمتزج في النص مشاعر الحزن والرثاء بصدقٍ بالغ، بينما تتوارى ثُنائيَّة الحياة والموت خلف الفاظ وإيحاءات تُلهم المتلقي بوقعهما الوجودي العميق، وحسبُنا من حضور دلالات طرفَ الموت أنّ موضوع القصيدة هو الرِّثاء، ولا شكّ أنّ الرِّثاء من لوازم الموت ونتائجهُ، لذلك ((فالرِّثاء يقترن بالموت وليس في العالم أُمّةٌ لم تعرفُ الرِّثاء، كما أنّه ليس فيه أُمّةٌ لم تعرفُ الموت))[18]

يستهلّ الشاعر نصَّه باستدعاء عميق لمشاعره عبر قوله: "بنفسي"، مُوظِّفًا حرف الباء بما يحمله من دلالة الالتصاق والارتباط، ليُبرز أن زوجته لم تكن مجرد رفيقة، بل روحًا تلازمه وتسكن أعماقه. جاء هذا الحرف ليُجسد التلاحم بين اللفظ والمعنى، مؤكدًا حضوره بضمير الفصل "أنت"، الذي يُعمّق الخطاب ويوجّهه مباشرة نحو الفقيدة.

ثم يُعبّر الشاعر عن الم الفقد ولوعته بعبارة "ظاعنة تولت"، إذ يستدعي برحيلها مأساة وجودية تترك أثرًا لا يندمل في نفسه، ليصبح الحزن جزءًا من كيانه ذاته. كما لجأ في البيت الثاني الى استعمال الفعل(بنى) الذي يجعل الشيء يحدث خطوة خطوة وإن كان غير ملموس، فالشَّاعر أسّس سعادتهُ وبنى حياتهُ بقرب زوجته، فلم يكتمل هذا البناء المتمثِّلُ بقوله:(العرس) دلالةً لـ(الحياة) ليصطدم بما يهدمُ هذا البناء بقوله: (المأتم) دلالةً لـ(الموت) ومناقضاً ومضاداً للفظة(العرس).

ثُمَّ يعود في البيت الثالث مُشيراً الى شِدَّةِ تحمُّله لحالة الفقد التي يعيشها خلال ركونه الى توظيف الفعل المضارع(يعز) الدال على استمرارية الأسى ومرارة الصَّبر، ثُمَّ يلجا في البيت الرابع واصفاً وحشة البيت بقوله: (يالك منزلاً قد عاد مُقفرا) فلم يعد المنزل عامراً بعدها، وأضحى مهجوراً، بعد إن كان مؤنِساً بروحها، جنَّة ببهجتها. وبالتّالي جاء النصُّ مُفعماً بالمشاعر الرقيقة والشجيّة، ومُتمثلاً بدلالة(الحياة) تلميحاً وليس ظاهراً من خلال لوازمها **(عرس، بنى، منزل، جنة)** ومُلمِّحاً لثُنائيَّة الموت بقوله:**(مأتم، قبر، قفر، جحيم)**

ومعلومٌ لدى المتلقّي أنّ معاني دلالات هذه الالفاظ تشيرُ الى طرفِ الموت، سواءٌ كان حقيقياً أو مجازياً، على الرّغمِ من كون النصّ رِثائياً بحت، وذلك ما يجعل القارئ أمّام مناقبٍ عظيمةٍ خلَّدها المرثي في نفس الشَّاعر.

وما زال الشَّاعر يتقلَّبُ بين الثُنائيَّات الضدية، والتي تحويها تجارب حياته القاسية التي يتناقلها ليصف لنا عمق تلك التجربة التي باتت تُرافقهُ في جميع أحواله، وعلى الرّغمِ من أنَّ العرب يأنفون من رثاء الزّوجِ لزوجته ويعدُّونه ضُعفاً للرجل وحطّاً من كرامته؛ كونها تُعدُّ من خصوصيات الحياة الزوجية، كما أشار الى ذلك ابن رشيق القيرواني بقوله:((ومن أشدِّ الرِّثاء صُعوبةً على الشَّاعر أن يُرثي طفلاً أو امرأة))[19]

الا أنّ الطُّغرائي كسر حواجز العادات والتقاليد التي تُعيب على الرجل رثاء زوجته والبكاء عليها، فجاء بمرثيةٍ تُعدُّ من أجود مراثي العصر العباسي، والتي قالها في رثاء ستيرته إذ يقول[20] فيها: [الوافر]

حُرِمْتُكِ إذ رُزِقْتُكِ بعدَ جِرْصٍ ... كذاكَ يكون حِرمانُ الحريصِ
وقُمتِ عليَّ بالغالي ولكن ... تنأولَكِ المنيةُ بالرخيصِ
لقد سبقَ القضاءُ برغمِ أنفي يقولون ... وليس على المقدَّرِ من محيصِ
اصطبِرْ وتعزَّ عنها ... وكيف عزاءُ مطعونِ الفريصِ*
ولو أنِّي قدرتُ شققتُ قلبي ... فكيف الامُ في شَقِّ القميصِ

لقد تزاحمت ثُنائيَّة(الحياة والموت) في خارطة النص وارتطمت أحدهما بالأُخرى، لكن أجراس الموت قد سلبت الجوِّ العام للنص، وأنجبت هذه الثُنائيَّة تأزُّماً نفسياً وشعوراً بالانكسار، فضلاً عن توظيف الشاعر لالفاظ دلّت على الموت أكثر من الالفاظ التي دلّت على الحياة(حرمتك، المنيّة، القضاء، عزاء، شقَّ،المقدَّر) مقابلةً بدلالات الحياة(رزقتك، غالي، حرص، صبر)

يبسط الطغرائي رؤيته في مستهلّ نصّه مُوظِّفاً دلالة المصدر(حرمتك) وهو اسم دال على حدث غير مقترن بزمن، والحِرمانُ لا يأتي الاّ بعد عطاء، فقد واجه الطغرائي

مقاومة شديدة حين سعى للارتباط بها، فأنفق الأموال وسارعت نفسه الى الجهاد مع أهلها، متحديًا العقبات ليظفر بها، وهذا ما يُشير بقوله:(رزقتك بعد حرص) ثُمَّ يعَمَدَ في الشطر الثاني الى أسلوب التشبيه عبر الأداة(الكاف) مُلوّحاً باسم الأشارة(ذاك) ليضرب مثلاً كيفيَّة فُقدان الشّيء رغم تمسُّكه به.

كما يذهب الشَّاعر في هذا البيت الى توظيف(ردِّ العجزِ على الصدر) وهذا يعني:((أن يرُدَّ اعجاز الكلام على صدوره، فيدلُّ بعضُه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر))[21] فجاء بلفظة (الحريص) في نهاية عجز البيت، ليأتي في نهاية صدر البيت بلفظه(حرص) وهذا ما يسمى بتصدير التّقفية[22]، ثم يستأنف الشّاعر هذا البيت بتدفُّقِ الأساليب البلاغية، فكان للتكرار نصيب منها، فجعل من التكرار أسلوباً إيقاعياً داخلياً يُضفي للبيت سلاسةً وسهولة، فكرَّر في شطري البيت الالفاظ (حرم، وحرص) مرتين، وفي هذا دلالةً على إثراء النّص، وتأكيد المعنى وإثباته.

ثُمَّ يعَمَدَ الى ربط المعنى وتعزيزِهِ في مستهلّ البيت الثاني من خلال توظيف حرف العطف(الوأو) الذي رافق دلالة الفعل الماضي (قمت) وهو فعل يحمل دلالة على عظمة الفعل الذي أقدم عليه، مما يشير الى أن الشخص الذي قام بهذا الفعل قد بذل جهدًا شاقًا وأموالا طائلة، وواجه خصومة مع أهله وأحبابه الذين اعترضوا على هذا القرار، سعيًا وراء هدفه، وهو ما يتضح من قوله: "وقمتِ عليّ بالغالي"

ثُمَّ يستدرِكُ بـ (لكن) التي تفي بإتمام المتكلم كلامه قبل الأداة، لتمنع المتلقّي من أن يتوهم شيئا غير مقصود، ليأتي بعدها بالفعل المضارع (تتأولك) دلالةً على استمرارية الموت الذي لا يفقه ثُمَّن ما نتمسك به، بقوله: (المنية بالرخيص).

ثُمَّ يفتتح البيت الثالث بقوله:(لقد) تأكيداً وتحقيقاً بأنّ الموت والقدر ماضٍ حُكمه على كل حي، ولا مفرّ لأحد منه، من خلال قوله: (سبق القضاء برغم أنفي) ثُمَّ يستعير(ليس) لينفي أمر الفرار من الموت بدليل قوله:(وليس على المقدر من محيص)

ونلحظ في هذا البيت استعانة الشَّاعر بالموروث الديني من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم من قوله: تعالى: ﴿ٱ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى﴾ سورة ق: [الآية:36] فجاء بدلالة المصدر الميمي(محيص) والمقصود به قضاء الله نازلٌ لا مهرب ولا محيد ولا فرار منه. ثُمَّ ينتقل الى البيت الرابع مُوظِّفاً دلالة الفعل المضارع(يقولون) وهذا الفعل دال على استمرارية تصبُّرهم له، مع استبعاد أن تتقبّل نفسه عزاءً أو اصطباراً، وقلبه يتفطّر ماً، وينزف دماً على فقد حليلته، من خلال قوله:(وكيف عزاء مطعون الفريص) ثُمَّ يعود في البيت الخامس مستنكرا ومتعجبا لوم الناس له حين شق قميصه جزعا، ولو كان الأمر بإمكانة لشق عن قلبه، كما عَمَدَ الشَّاعر الى تكرار أسلوب الإستفهام بالأداة (كيف) في البيتين الأخيرين، وهذا الإستفهام يعكس عظمة مصاب الشَّاعر ويأسه وما وصلت اليه نفسه من جزع واحتراق، فقد نقل الينا هذا الإحساس ما أعطاه الإستفهام من حركيه وانفعال أثار الانتباه.

وبناءً على ذلك، فإن الثُنائيَّات التي تجلّت في هذا النص كان لها الأثر العميق في إبراز سمات شخصية الشاعر، إذ سَخّرها ببراعةٍ لتكشف عن قدرته الفائقة في توظيف اللغة، وتلاعبه بالالفاظ بأسلوب يُلامس عمق المعنى ويستفزُّ الانتباه[23]

ثم تتصاعد آلامه وانفعالاته في ثورةٍ من الغليان يفقد معها إدراكه وتوازنه في كلامه، حتى نراه ينادي الموت ويطلبه ليلحق بها وفاءً لها فيقول[24]. [الطويل]

ويا موتُ الحقِني بها غيرَ غادرٍ فإن بقائي بعدَها غايةُ الغَدْرِ
ويا صبرُ زُلْ عنِّي ذميماً وخَلِّني ولوعةَ وجدي والدموعَ التي تَمْرِي

ينقل الينا الشاعر في هذا النص مشهداً معتماً، في تعبير صادق، وإحساس غريب على مدى جزعه لفقد زوجته، إذ لجأ الشاعر في نصِّه الى توظيف أسلوب النداء بواسطة الحرف(يا) وهذا النداء ((في جوهره تنبيه وأثارة للمخاطب، وهو حاجة الشاعر للتعبير عما في داخله من شوقٍ واحتياج لشخصٍ ما، ولو لم يكن حاضرًا ليسمعه))[25]

فهو لا يجهر بأدوات النداء الا ليُعبِّر عن قلقه، ويوجدَ أفكاره التي تتصل في الوقت نفسه بالمخاطب قرباً أو بعداً في المكان، أو المنزلة أو الذاتية الاجتماعية [26]

فالشاعر يوجه نداءه لـ(الموت) الذي يمثل طرفَ الثُنائيَّة الضدية بصورة مباشرة طالباً منه اللِّحاق بحبيبته ليتمم وفاءه ووعده لها بقوله:(الحقني بها غير غادر)

ثم يؤكد في الشطر الثاني من خلال التّضاد بدلالة الحياة(البقاء) بأنَّ وجوده وحيدا هو منتهى الغدر والخيانة بالعهد من خلال قوله:(غاية الغدر) ثم يذهب الشاعر مره أُخرى باتجاه نداء الصبر، وهذا النداء يحمل في طياته الزجر وعدم التقبل بقوله:(يا صبر ذل عني ذميما) ومن ثم فان نداءه للموت وللصبر بهذا الأسلوب يكشف عن فداحة الخطب والتأثير والوجدان،

كما عَمَدَ الشاعر في هذين البيتين الى تكرار حرف النداء(يا) وهذه الأداة ينادى بها للقريب كما ينادى بها للبعيد فهي الأكثر استخداما من بين ادوات النداء[27] ; لأنه أراد أن يدلِّلَ على قربها منه على الرغم من بعدها، كيف لا وأنَّها لا زالت تحتلُّ تلك المكانة القريبة.

فالنصُّ خرج بثُنائيَّات ضِدِّية من خلال (الموت/ البقاء)(غير غادر / غايه الغدر) لتكشف لنا سودأوية الشاعر ونفاد صبره.

والى ذلك عَمَدَ الطُّغرائي في بعض قصائده ومقطوعاته الى شبه ضِدِّية، ويكون التلميح بثُنائيَّة الحياة والموت غالبة على النّص، وتُجْبِرُ القارئ أو الناقد على التبصُّر والتمعُّنَ فيها، ومن ذلك ما جاء في قصيدته التي رثى فيها الملك أبا بكر"" مؤيد الملك" إذ يقول[28] فيها: [الكامل]

ما بعدَ يومِكَ للحَزينِ الموجَعِ ... غيرُ العويل وأنَّةُ المتفَجِّعِ

لهفي عليكَ لَمستجيرٍ يبتَغِي ... وَزَراً لديكَ وما لهُ من مفزِعِ

لهفي عليكَ لخائفٍ ومؤَمِّلٍ ... ومُنازَعٍ في حقِّهِ ومدفَّعِ

لهفي عليكَ لثلَّةٍ غادرتَها ... هَمَلاً لذُؤبانِ الفَلا والأضبُعِ

يذهب النص باتجاه نعت الشَّاعر نفسهُ بـ(الحزين الموجع) وهذا تصريحٌ ناتجٌ عن ضعف الشَّاعر وانكساره بعد فراق ملإذه الآمن ورُكنهُ الشَّديد الذي يأوي اليه عندما تضيق به الحياة، ويتآمر عليه المغرضون، فبدأ مخاطباً الملك بأسلوب النفي (ما) التي تأتي بمعنى(ليس) لينفي كل حدثٍ بعد يومه الحزين في قوله:(ما بعد يومك) ثم يستثني من ذلك الصُراخ وشِدَّةِ الالم الذي يعتصره بعد فراقه في مثل قوله:(غير العويل وانه المتفجع) وهذه دلاله على مكانة الشَّاعر المرموقة عند الملك.

ثُمَّ يلجأ الشَّاعر الى أسلوب التكرار في البيت الثاني والثالث والرابع بقوله: (لهفي عليك) وهذا التكرار كثَّفَ من مأسأوية النص العالية التي تشي بحراره الفقد والحرمان، وما يحمله من دلاله نفسيَّة، وتركيزه على نقطه حساسة يظهر من خلالها اهتمام المتكلم[29].

لذا تنقلت الثُنائيَّات الضِدِّية في هذا النص من نظامها المعهود بالفاظها الصريحة(الحياة– الموت) الى التلميح بنسقها المضمر، فالطرفَ الأول مثلته دلالات (يوم، اللقاء، نجود، لهفي) ثُمَّ يحلُّ طرفٌ آخر هو في حقيقة الأمر يعدُّ نواة النص، ومن أجله صنع الشَّاعر هذا النص الا وهو الرِّثاء بمفهومه العام، والموت كونه أحد أطراف الثُنائيَّة الضدية، تتمثل بدلالات(**الحزين، العويل، المتفجع، ريب المنون**) وهذه الالفاظ في كلا الطرفَين قد صنع فيها الشَّاعر فضاءً حزيناً وباكياً هيمن على النص وفرض سلطته عليه.

وفي نصٍّ آخر من القصيدة نفسها نراه يتجه الى مخاطبة القبر الذي احتضن المرثي إذ يقول[30] [الكامل]

يا قبرُ أُفْرِغَ فيك سَجْلٌ من نَدَىً فالبسْ له حُلَلَ الرِّياضِ وأمْرِعِ
يا قبرُ غاضَ البحرُ فيك فلا تدَعْ للناس حولَكَ غُلَّةً لم تُنْقَعِ
يا قبرُ غاب البدرُ فيك فلا تكنْ من بعدِه الا مُنيرَ المطلَعِ

يفتتح النص على الية التّضاد من خلال المثول الى قضية موت المعنى وولادته من أرحام الالفاظ والأفكار، ومن هنا يتضح العمق الحقيقي لفاعلية الثُنائيَّات الضدية التي تعمل على تشييد البنية الداخلية للنص، ومن ثَمَّ تأثيثها بتلك المقومات ذات التفاعل الدائم[31]، لذا

يستهلّ الشاعر نداءه مُوظِّفاً حرف النداء(يا) وهذا النداء يعمل على التنبيه، وينطوي تحته الكثير من الأسى والحزن، لا سيما والمنادى هو(القبر) وقد تآزرت الصيغة الطلبية مع صيغه النداء في تشكيل ثُنائيَّات ضدية من خلال دلالة الموت بقوله:(القبر) راجيا منه أن يقدر المرثي حق قدره، وليكن له مرجٌ لامع وبريق لا ينفد، في قوله:(فالبس له حلل الرياضي وامرعِ) ثم ينتقل الى البيت الثاني مُوظِّفاً أسلوب التكرار للفظه (القبر) وهذا التكرار يُعدُّ مرآة لحوادث الحياة ولا سيما للشاعر، فهو لم يأتِ الا لعظم الكرب والمصائب؛ وبالتالي((فإنَّ العبارة المكررة تؤدي الى رفع مستوى الشعور في القصيدة الى درجة غير عادية، واستناد الشاعر الى هذا التكرار يستغني عن عناء الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالالفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية))[32]

ثم يفضي الشاعر الى توظيف الاستعارة في مثل قوله:(غاض البحر) بالإصابة المباشرة للمعنى، فالاستعارة تعطي الشاعر الحريّة الكاملة ((بأن يتحرك من خلالها ويخلق منها صورًا تشير الى أشياء بعيدة وربَّما رؤى غير مدركة))[33] فالشاعر جعل من الملك بحرًا لسعة صدره وواسع كرمه، ومن ثَمَّ يُشير بأنَّ هذا البحر نقص وجف ماؤه، ثم يطلب منه الا يدع قبرًا حولهُ ظمئاً الا وأسقاه.

ثم يعَمَدَ الى البيت الثالث بتكرار حرف النداء المجأور للفظه (القبر) راجيا منه ان كان غياب البدر عنك فيما مضى فاجعل موطئ الملك هو بداية النور والضياء دائما.

إنَّ الأفعال التي أرساها الشاعر على ضفَّة النص (البس، لا تدع، لا تكن، غاض، وغاب) هي محأولة لإثارة المتلقي لإدراك عظمة المرثي، إذ استثمر الشاعر ثقافته الواسعة، وقدراته الفائقة في إضفاء النص الشعري عمقًا وثراءً، إذ تداخلت معانيه في علاقة من التضاد، عبر التلميح الى دلالة الموت (القبر) مقابل دلالة الحياة (البحر)، وهنا تكمنُ جمالية النص، فالتلميح أشدُّ ما يُثيرُ المتلقِّي من التوضيح.

ففي النص الشعري ثُنائيَّات ضِدِّية أُخرى صاحبت ثُنائيَّة (الحياة والموت) والتي تُشكِّلُ بُؤرة النص وركيزته الأساسية كثُنائيَّة:(أفرغ / البس) و (غاب/ المطلع) فهذه الثُنائيَّات مع وفرتها قد ساعدت على تحقيق الذروة العاطفية في التعبير عن الحسرة والمرارة.

ثُمَّ يستأنف الشَّاعر بعد رثائه بنص شعري يتمنى فيه الموت، لما الَمَّ بهِ من حرارة الفقد، مصرِّحاً بثُنائيَّة الحياة والموت، ومُبرزاً معالمها، فضلاً عن ذلك استطاع بقدرته الشعرية أن يُوظِّف اليةَ التَّناص؛ ليجعل ثُنائيَّة الحياة والموت أكثر وضوحا، وذلك ما نستقرِئُه في قوله:[34] [البسيط]

يا رَبِّ إن كان عيشي هكذا غُصصَاً فامنُنْ عليَّ بموتٍ فهو أروحُ لي
ثُكلٌ وفُرقةُ أحبابٍ ومَرزأةٌ* في المال والأهل والأتباع والخَوَلِ

ينهض النص على عتبة استقبال تبدأ بأسلوب الطلب من خلال توظيف الأداة(يا) وهي نداء خرج للدعاء، وموجه لمن يرتجى منه العون -ﷺ- بقوله: (يا رب) فهي وحدها تخصص في نداء اسم الله تعالى:، لبعد مكانتها مع قربه الشديد منه[35] ليسند طلبه بأسلوب الشرط من خلال الأداة (ان) المرتبطة بفعل الشرط(كان عيشي هكذا) وما يعنيه من فقد، ولوعة، وحرمان، ليطلب الراحة والخلاص من كل هذا من خلال جواب الشرط (فامنن علي بموت)، ثُمَّ يلجأ في البيت الثاني الى التصريح بما يعاني منه الشَّاعر من فقد وفراق وغيرها من مصاعب الحياة التي واجهته،

فالطُّغرائي يعيش حياة صعبه ومرهقة، إزاءَ ما مرَّ به، فاتّجه الى الله بأسلوب الطلب إنْ كانت حياته المقبلة كمثل سابقها أنْ يمُنَّ عليه بموت يرتاح به، وهنا نرى ثَمَّة التقاء بين قوله:

يا رَبِّ إن كان عيشي هكذا غُصصَاً فامنُنْ عليَّ بموتٍ فهو أروحُ لي

مـع الحـديث النبـوي الشـريف << عـن أنـسٍ –رضـي الله عنـه – قَـال: قـال رسـولُ الله ﷺ: **لا يَتَمَنَّـيَنَّ أحـدكُمُ المـوْتَ لِضُـرٍّ أَصَـابَهُ، فَـإِنْ كـانَ لا بُـدَّ فـاعِلًا فَلْيَقُـل: اللَّهُـمَّ أَحْيِنـي مَـا كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّني إذا كانَتِ الوفاةُ خَيرًا لي**>>[36] متفقٌ عليه.

إذ أفـاد الـنص الشـعري مـن الـنص الشـريف فـي تقـديم رؤيتـه الشـعرية، إذ بـرز التَّنـاص التركيبـي واضـحاً، فجـاء النـداء فـي الحـديث النبـوي(اللهم) مقـابلا للنـداء فـي الـنص الشـعري(يا رب) لتـأتي بعـدها الجملـة الطلبيـة فـي الحـديث (تـوفني) مقابلـه للجملـة الشـرطية مـن قـول الشَّـاعر(إن كـان عيشـي) ثُـمَّ جـاء جـواب الطلـب فـي الحـديث الشـريف(ان كانـت الوفـاه) مقـابلا لجـواب الطلـب فـي الـنص الشـعري(فمن علـي) لتـأتي النتيجـة مـن الحـديث الشـريف(خيرا لـي) موافقة ومقابلة للنص الشعري(أروح لي)

كمـا أدَّت دلالات التَّنـاص الضـمني التـأثيري مـع الـنص النبـوي الشـريف دورا فـاعلا فـي ابـراز ثُنائيَّـة الحيـاة والمـوت، والتـي أشـار اليهـا الشَّـاعر مـن خـلال الضـمير(الياء) العائـد لـه، فـي قوله:(عيشـي) وسـيلة تحقيـق طـرفَ (الحيـاة)، فـي حـين أشـار بتصـريح مباشـر لثُنائيَّـة المضاد الآخر(الموت) بقوله: (بموت).

وفـي موضـع آخـر نلحـظ أنَّ الطُّغرائـي ينتقـل بتوظيـف ثُنائيَّـة (الحيـاة والمـوت) فـي موضـع بعيـدٍ عـن الرِّثـاء، ذاهبـا باتجـاه الغـزل، علّـه يتحـرر مـن عـالم الفقـد ومـرارة التفجُّـع والخُـذلان، ليجـد نفسـه مقيـداً بالامـه، غارقـاً بأحزانـه، شـاكياً ونـاثراً همومـه بـين يـدي محبوبتـه (عفراء) قائِلاً[37]: [الطويل]

أعالمـــةٌ بالرَّمْـــلِ عفـــراءُ* أنَّنِـــي	علـــى أي حـــال أغتـــدي وأروحُ
أروحُ وقلبـــي بـــالهموم مـــعذَّبٌ	وأغـــدو وعينـــي بالدمـــوع سَفُـــوحُ
فـلا المـوت أهـوى قبـلَ لُقيـا أحبَّتِـي	ولا العـيشُ لـي قبـل اللقـاءِ مُريـحُ
سَقـــامٌ ووجـــدٌ واشـــتياقٌ وغُرْبَـــةٌ	وقلـــبٌ بأنـــواعِ الهُمـــومِ جريـــحُ

عنـد التأمـل فـي هـذا الـنص نجـد أن الشَّـاعر قـد شَـرَع الـى توظيـف أسـلوب الإسـتفهام فـي معنـاه الإنكـاري عبـر الأداة(الهمـزة) المتجـاورة مـع المصـدر (عالمـة) ليسـتفهم بهـا مـدى

معرفـة، محبوبتـه بالحـال الـذي هـو عليـه بقوله:(أعالمـة) ليشـاركها مشـاعره وأحاسيسـه النفسـية الباطنة من خلال توظيف الية التّضاد المتجاور بين قوله: (اغتدي –اروح).

ثُـمَّ ينتقـل ليُثرينـا بثُنائيَّـاتٍ ضـدّية فـي البيـت الثـاني، والتـي تزيّنـت بأسـلوب المقابلـة، ليتكـئ الشـطر الأول علـى معنـى الهـم الـذي يعانيـه الشَّـاعر خوفـاً مـن الأمـور المسـتقبلية فـي قولـه: (أروح وقلبـي بـالهموم) منـتقلاً الـى الشـطر الثـاني الـذي يحمـل فـي طياتـه معنـى الحـزن علـى مـا مضـى من(فقـد، صـد، هجـر) فـي مثـل قوله:(وأغـدو وعينـي بالـدموع) فالمقابلـة هنـا قائمـةٌ علـى المعنـى ولـيس علـى تركيـب الالفـاظ ومـا يقابلهـا علـى الترتيـب وهـذا مـا يسـمى با(لمفارقـة) والتـي تعنـي: ان يقـع التنـاقض بـين معنيـين أو صـورتين، فـلا يكـون للالفـاظ نصـيبٌ من ذلك؛ بل ينصب الاهتمام على الصورة أو المعنى[38] .

ثُـمَّ يـذهب الشَّـاعر فـي البيـت الثالـث باتجـاه توظيـف ثُنائيَّـة (المـوت) فـي الشـطر الأول، ومضـاده الآخـر، الـذي رمـز لـه بلفظـة (العـيش) لمعنـى الحيـاة فـي الشـطر الثـاني، إذ سـاهمت هـذه الثُنائيَّـة الـى انكسـار التـأزُّم النفسـي الـذي حـدا بـه نحـو تبلُّـد مشـاعره، فلـم يعـد يكتـرث لحديثِ حبيبٍ أو الى لقاء صديق.

ثُـمَّ يعـود فـي البيـت الرابـع ليُـودِع تجاربـه التـي رآهـا عيانًـا والتـي سـاهمت فـي هـذا الاضـطراب النفسـي الـذي ال بـه الـى توظيـف ثُنائيَّـة متضـادة فـي قوله:(سـقام– وجـد) فولّـدت هذه الثُنائيَّة شعورًا بالانكسار على المستوى النفسي.

لقـد أنجبـت ثُنائيَّـة الحيـاة والمـوت ثُنائيَّـة ضِـدِّية أُخـرى وهـي ثُنائيَّة(اغـدي– واروح) و(اشـتياق– غربـة) وأسـبغت هـذه الثُنائيَّـة أجـواءً خاصـةً فـي هـذا الـنص، فقـط طبعتـه بالطـابع المأسأوي الذي خيّم على حياة الشَّاعر والامه وأحزانه على الفقد.

ولا يـزال الشَّـاعر يقـدم لنـا ثُنائيَّـة (الحيـاة والمـوت) فـي بعـض نصوصـه بشـكل واضـح المعـالم، ينسـل تحـت مظلَّـةِ الحـديث عـن داءٍ لا يُفارقـه، بـل أصـبح جـزءاً منـه، فـإن شـفي مـن دائه بان له من خلال ذكر المحبوبة.

لـذا نجـد أنَّ الطُّغرائـي فـي بعـض الأحيـان يُصـرِّحُ بحبِّـه العُـذري مـن غيـر أن يتوقّـع لمـا يحـدث لـه، فهـو بهـذا يقتفـي أثـر الشُّـعراء العـذريين الـذين يجعلـون مـن صـراحتهم اعترافـا بمآسـيهم فهو يقول[39] [الوافر]

كفَـــى حَزَنـــاً بـــأن تمضـــي الليالـــي ولـــــيس الـــــى لقـــــائكُمُ ســـــبيلُ
أعـــيشُ تجلُّـــداً وأمـــوتُ شـــوقاً وحظِّـــي مـــنكمُ أبـــداً قليـــلُ
إذا العـــذبُ الـــزلال كَرعـــتُ فيـــهِ شَـــرِقْتُ بـــهِ ولـــم يُـــروَ الغليـــلُ

إن نظـرةً بسـيطة الـى الـنص نسـتطيع أنْ نلمـح مـن خلالهـا عـدداً مـن الثُنائيَّـات التـي تـدور حـول (الماضـي والمسـتقبل)و(الذات والآخـر) و (الحيـاة والمـوت) التـي تمثـل البـؤرة الأساس في النص.

افتـتح الشـاعر مـدخل الـنص بدلالـة الفعـل الماضـي(كفى) وانتقلـت هـذه الدلالـة مـن الماضـي الـى الأمـر؛ لأنّ هـذا الفعـل يـدلُّ دلالـةً إيحائيـةً وواقعيـة علـى سمة الحـزن واليـأس فـي أقصـى صـوره، وكأنـه يخاطـب نفسـه ويقول(كفـاك حزنـاً) لكنـه جعـل مـن محبوبتـه شخصـاً يشكو لهـا همومـه وأحاسيسـه مـن خـلال اليـأس الـذي سـيطر علـى جـوِّ الـنّص مـن أول عتبـة، كمـا نلحـظ أنَّ الشَّـاعر ربـط بـين الحُـبِّ والغُربـة بقولـه: (ولـيس الـى لقـائِكُمُ سـبيلُ) وهـذا يُشـير الـى أنَّ الغربة متأتِّية من البعد عن الحبيبة.

ثُـمَّ يُغـادِرُ الشَّـاعر باتِّجـاه البيـت الثـاني مسـتأنفاً خطابـه نحـو المتلقـي ومُوظِّفـاً أسـلوب التّضـاد بـين لفظتي(أعيشُ/وأمـوتُ) ليؤكِّـد مـن خـلال هـذين الفعلـين المضـارعين المتضـادين اسـتمرارية حياتـه المأسـأويّة بـين شـدَّة الصَّـبر وبـين المـوت شـوقاً، مـن خـلال قوله:(تجَلُّـدَاً) لـذا فـإنَّ ثَمَّـةَ ارتبـاطٍ بـين دلالـة الفعـل الماضـي(كفى) فـي البيـت الأول الـذي جـاء فيـه للأخبـار والشكوى، وبين الفعل المضارع (أعيشُ/أموتُ) دلالةً على استمرارية مُعاناته.

ثُـمَّ يعَمَـدَ الشَّـاعر فـي البيـت الثالـث الـى تكثيـف المعنـى وتأييـده مـن خـلال الاسـتعانة بالموروث الشعري واتِّكائه على نصِّ المتنبِّي الذي يقول فيه[40]:

وَمَــا شَــرَقي بالمــاءِ الاّ تَــذكُّراً لِمَــاءٍ بــهِ أهْــلُ الحَبيــبِ نُــزُولُ

فالطُّغرائي استثمَّر نصَّهُ مُتَّكِئاً على التَّناص؛ لينهل من نص المتنبّي ما يُؤيّد مغزاه في غضون توظيف الدلالة والتركيب، فالدلالة تنسجم مع نص المتنبّي من خلال ذكر المحبوب في أشدِّ المواقف، أمّا من إذ التركيب فقد اجتزأ قوله: (شَرِقْتُ بهِ ولم يُروَ الغليلُ) من شطر البيت الأول من قول المتنبّي(وَمَا شَرَقي بالماءِ الاّ تَذكّراً) مع كون الماء عذبا زلالاً، الا أنهما يشرقان لحظة تذكرهما المحبوبة، ولهذا فقد اثبت الطُّغرائي قُدرتهُ على استيعاب النصّ الغائب واستِنطاقِه؛ ليدعم فيه رُؤاه، فالتَّناص: يعمل على تدعيم الموقِفِ والرؤية المسندة بالحُجَج والبراهين[41] وبالتالي يمنح النص ثوباً جديداً، ويُثريهِ بدلالاتٍ جديدة.

أفضت القراءات النقدية المتعمِّقة في قصائد الشاعر الى خُلاصةٍ مفادها أن جدلية الحياة والموت شكّلت جوهرًا مثاليًا ارتبط بالقصيدة منذ بزوغها الأول وحتى عصر الشاعر، هذه الجدلية لم تكن مجرد عنصر سردي عابر؛ بل هي النبض الداخلي للنص، إذ تتبدى كظاهرة تتعمق في بنية اللغة، سواء من خلال استكشاف ظواهرها، واستجلاء منابعها، أو عبر طرق توظيفها وصياغتها، وما تحمله من انزياحات فنية تبتعد عن النمطية المألوفة لتخلق فضاءً إبداعيًا جديدًا.

الخاتمة

وفي المطاف الأخير وبعد الفراءة المستفيضة انتهت هذه الدراسة التي اتخذت من ((ثنائية الحياة والموت في شعر الطغرائي (ت:515هـ) رؤية تحليلية)) موضوعاً لها , وبعد هذه الرحلة المستفيضة توصلنا إلى ابرز النتائج :

- تحليل ثنائية الحياة والموت: تبين أن الطغرائي قد صور ثنائية الحياة والموت في شعره بأسلوب فلسفي عميق يعكس تأملاته الوجودية وتفاعلاته مع مفهوم الموت كحتمية لا مفر منها.

- الفجوة بين الحياة والموت: أظهرت دراسة هذه الثنائية كيف يوازن الطغرائي بين التوق إلى الحياة والخوف من الزوال، مما يعكس التناقضات الداخلية للإنسان الذي يعيش بين الأمل والفناء.
- استخدام الرموز والتعبيرات: اعتمد الطغرائي على الرمزية الدقيقة والتعبيرات القوية لتصوير هذه الثنائية، حيث استعان بمفاهيم مثل الزمن، القدر، والحظ، ليجعل الموت والحياة جزءًا أساسيًا من بنية قصائده.
- الرؤية الفلسفية والوجودية: أظهرت الأشعار تأملات عميقة حول الفناء والخلود، مما يعكس رؤية الطغرائي للوجود الإنساني الذي يسعى نحو المعنى رغم علمه بحتمية النهاية.
- تأثير الطغرائي في الأدب العربي: تسلط الدراسة الضوء على إسهام الطغرائي في تطوير المفاهيم الشعرية الخاصة بالحياة والموت، مما يعزز فهمنا لكيفية تناول الشعراء العرب لهذه الثنائيات في سياق الأدب العربي الكلاسيكي.

References

1_Time in the Arab Poets before Islam, Dr. Abdul-Ilah Al-Sayegh, Ministry of Culture and Information, Dar Al-Rasheed for Publishing, Baghdad, 1982.
.2_Beliefs about the afterlife in the ancient civilization of Mesopotamia, Nael Hanoun, General Cultural Affairs House, Baghdad, 2nd ed., 1986.
3_Diwan of Tarafa bin Al-Abd, Dar Al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1424 AH - 2003 AD.

4_Death and Genius, Abdul-Rahman Badawi, Egyptian Renaissance Library, 1998 AD.
5_Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Sawra bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Issa (d. 279 AH)
6_ Edited by: Ahmed Muhammad Shaker - Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press - Egypt, 2nd ed., 1395 AH - 1975 AD.
7_ Death and Existence, A Study of the Developments of Human Annihilation in the World Religious and Philosophical Heritage, James Carl, Supreme Council for Culture, 1998.
8_Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl Jamal al-Din bin Manzur (d. 711 AH), Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.
9_Taj al-Arus, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq al-Husayni, Abu al-Fayd, nicknamed Murtada, al-Zubaidi (d. 1205 AH), ed. (A Group of Investigators), Dar al-Hidayah, (n.d.) (n.d.).
10_ Dictionary of Language Standards, Ahmad bin Faris al-Razi (d. 395 AH), ed. Abdul Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Beirut, (n.d.), 1399 AH - 1979 AD.
11_Belief in the Last Day and its Impact on the Individual and Society, Mazen bin Muhammad bin Issa (Master's Thesis), Academic Year 1433 AH - 2012 AD.
12_Definitions, Ali bin Muhammad Al-Sharif Al-Jurjani, Lebanon Library, Beirut, New Edition 1985 AD.
13_ A Poetry Journey, Mustafa Al-Shakaa, Egyptian Lebanese House, 1st Edition, 1418 AH - 1997 AD.
14_ Life and Death in Pre-Islamic Poetry, Dr. Abdul Latif Jiwouk, Publications of the Ministry of Information 1977 AD.
15_Al-Tughrai's Poetry, Ali Jawad Al-Taher, Journal of Literature, University of Baghdad, College of Arts, 1st Edition, 1959 AD.
16_ Elegy, Dr. Shawqi Dayf, Dar Al-Maaref, 4th Edition, 1987 AD
17_ Al-Umdah, Abu Ali Al-Hasan bin Rasheeq Al-Qayrawani Al-Azdi (d. 463 AH), ed.: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Dar Al-Jabal, Beirut, 1401 AH - 1981 AD.
18_ In Poetry, Kamal Abu Deeb, Arab Research Foundation, Lebanon, Beirut, 1st ed., 1987 AD.
19_ Artistic Construction of Thaqeef Poets in the Umayyad Era, Sarah Adnan Tharthar Al-Qaisi, Master's Thesis, Islamic University, Baghdad, 1433 AH - 2011 AD.
20_ Aesthetics of News and Composition (A Critical Rhetorical Aesthetic Study), Dr. Hussein Juma, Publications of the Western Writers Union, Damascus, 2nd ed., 2005 AD.
21_ Rhetorical Methods (Eloquence - Rhetoric - Meanings), Ahmed Matloub, Dar Al-Qalam, 1st ed., 1980.
22_Contemporary Poetry Issues, Nazik Al-Malaika, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut-Lebanon, 5th ed., 1978 (no date).

23_Sin and Atonement from Structuralism to Anatomy, A Critical Reading of a Contemporary Model, Abdullah Muhammad Al-Ghadami, Egyptian General Book Authority, Cairo, Egypt, 4th ed., 1998.
24_ Deir Al-Malak, A Critical Study of Artistic Phenomena in Contemporary Arabic Poetry, Dr. Mohsen Atimish, Dar Al-Rasheed, 1982.
25_Constructional Methods in Arabic Grammar, Abdul Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 5th ed., 1421 AH - 2001 AD.
26_ Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Ja'fi, Chapter

on the Patient Wishing for Death, Dar Tawq Al-Najah, 1st ed., 1422 AH.
27_ Paradox in the Poetry of Al-Sanubari, Yusra Khalil Abdul Rahman, Supervised by: Dr. Hussam Al-Tamimi (Master's Thesis) 1437 AH - 2015 A.28_
Diwan Al-Mutanabbi: 151.
29 _ Intertextuality in the Poetry of Al-Ma'arri, Ibrahim Mustafa Muhammad Al-Dahoon, (PhD Thesis), Yarmouk University, Irbid, 2009
30_The significance of time in (models of Abu Al-Ala Al-Maari's poetry), Mona Raafat Abdul Karim, Tikrit University Journal for Humanities, Volume (31), Issue 6, 2024